

## أضواء البيان

@ 328 @ .

الأولى : التي هي كونه : أنزله بقدر أشار إليها في قوله : { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا }  
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ } . . .  
والثانية : التي هي إسكانه الماء المنزل من السماء في الأرض بينها في قوله جل وعلا {  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّاهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي  
الْأَرْضِ } والينبوع : الماء الكثير وقوله : { فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْزَلْنَاهُ لَهُ إِلَّا بَخَارًا نَّيِّنًا } على ما قدمنا في الحجر . . .  
والثالثة : التي هي قدرته على إذهابه أشار لها في قوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
إِنِ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُمُ بِمَاءٍ مَّعِينٍ } ويشبه معناها  
قوله تعالى : { لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } لأنه إذا صار  
ملحاً أجاجاً لا يمكن الشرب منه ، ولا الانتفاع به صار في حكم المعدوم ، وقد بين كيفية  
إنزاله الماء من السماء في قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّاهَ يُزْجِي سَحَابًا  
ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ  
خِلَالِهِ } فصرح بأن الودق الذي هو المطر يخرج من خلال السحاب الذي هو المزن ، وهو  
الوعاء الذي فيه الماء وبين أن السحابة تمتلئ من الماء حتى تكون ثقيلة لكثرة ما فيها  
من الماء في قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا أَقْلَبْتَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ  
لِبِلَادٍ مَّيِّتَةٍ } فقولته : ثقلاً جمع ثقيلة ، وثقلها إنما هو بالماء الذي فيها وقوله  
تعالى : { وَيُنزِّلُهُ السَّحَابَ الثَّقِيلَ } جمع سحابة ثقيلة . . .  
وهذه الآيات القرآنية تدل على أن الماء يجمع في المزن ، ثم يخرج من خلال السحاب ،  
وخلال الشيء ثقوبه وفروجه التي هي غير مسدودة ، وبين جل وعلا أنه هو الذي ينزله ويصرفه  
بين خلقه كيف يشاء ، فيكثر المطر في بلاد قوم سنة ، حتى يكثر فيها الخصب وتزايد فيها  
النعم ، ليبتلي أهلها في شكر النعمة ، وهل يعتبرون بعظم الآية في إنزال الماء ، ويقل  
المطر عليهم في بعض السنين ، فتهلك مواشيهم من الجذب ولا تنبت زروعهم ، ولا تثمر أشجارهم  
، ليبتليهم بذلك ، هل يتوبون إليه ، ويرجعون إلى ما يرضيه . . .  
وبين أنه مع الإنعام العام على الخلق بإنزال المطر بالمقدر المصلح وإسكان مائة في  
الأرض ليشرّبوا منه هم ، وأنعامهم ، وينتفعوا به أبى أكثرهم إلا الكفر به ، وذلك في قوله  
تعالى : { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلَادَهُ }

مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْزَعَامًا وَأَنْزَايَ كَثِيرًا وَلَا قَدْرًا  
صَرَ فَنَآهُ بِبَيْنِهِمْ لِيَذَّكَّرُوا ° فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا {